

# "الأسس العامة للنظام العقابي الإسلامي"

بمّ مّدم من: د/ رافع مّمودحامد الفاخري

عضو هيئة التدريس بقسم الشريعة الإسلامية/ كلية الحقوق - جامعة بنغازي

## مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا. وبعد لكي تؤدي الشريعة الإسلامية<sup>(١)</sup> وظيفتها الكاملة وتحقق للمجتمع الأمن والاستقرار والمنعة، لابد وأن تكون الدولة إسلامية، أي أن تكون الشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد لكل النظم في المجتمع. وعلى الأخص فيما يتصل بالجريمة والعقاب. فإذا كانت الشريعة وحدها هي الضابط لحياة المسلمين حققت وظائفها على النحو المرجو، وتجلت السياسة الجنائية لهذه الشريعة، وهي تعمل وحدها في التطبيق - بأوضح الصور - وكيف لا نجعل الشريعة وسيلتنا في الحكم والله تعالى يقول: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويقول جل شأنه بعد ذلك: ﴿ وَإِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أُنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾<sup>(٣)</sup>. وفي هذه الآيات بيان واضح على أن أفضل الحكم هو حكم الله، والله العالم بكل شئ يحذرنا من أن يفتتنا الهوى فنضل عن سبيله<sup>(٤)</sup>.

(١) يقصد بالشريعة والتشريع في الإسلام والشرعة أيضاً النظم التي شرعها الله أو شرع أصولها ليأخذ الإنسان بها نفسه في علاقته بربه، وعلاقته بأخيه المسلم، وعلاقته بأخيه الإنسان، وعلاقته بالكون وعلاقته بالحياة. والإسلام عقيدة وشريعة فقد عبر القرآن عن العقيدة بالإيمان، وعن الشريعة بالعمل الصالح قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا" "الكهف" الآية ١٠٧، وقال عز من قائل: "مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً" "النحل" الآية ٩٧، انظر: الإسلام عقيدة وشريعة، الشيخ محمود شلتوت، دار الشروق، ط ٩، سنة ١٩٧٧، ص ١٠.

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٨، انظر: في بيان المراد منها، تفسير النسفي، بدون طبعة ولا دار نشر، ج ١، ص ٢٨٥، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، المكتبة العصرية، صيدا، تحقيق أسعد محمد الطيب، ج ٤، ص ١١٤٩.

(٣) سورة المائدة، الآيات ٤٩: ٥٠، وفي بيان تفسيرها انظر: المرجع السابق، ج ٤، ص ١١٥٣ وما بعدها.

(٤) انظر: السياسة الجنائية في التشريع الإسلامي، د. مصطفى محمد حسنين، منشورات جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط سنة ١٩٨٤، ص ١٦، ١٧.

وعليه فإن النظام العقابي في الإسلام يركز على أسس لكي يستطيع أن يضطلع بالمهام المراد منه أداؤها، وهذه الأسس منها ما هو عام ومنها ما هو خاص، ولقد حاولنا في هذا البحث المتواضع تسليط الضوء على الأسس العامة على أن نرجئ الحديث عن الأسس الخاصة إلى مناسبة أخرى، وتتمثل هذه الأسس في المصادر الدينية للنظام العقابي في الإسلام، ومرجع مبادئه إلى العقيدة الشاملة، بالإضافة إلى الهدف المنشود له.

ولقد اعتمدنا منهاجا للبحث يجمع بين الاستقراء والوصف، والتحليل في بعض الأحيان، ومما لا يخفى على أحد أن هذا الموضوع هو من الأهمية بمكان، ذلك أن نظام الحدود يهدف إلى ضبط سلوك الأفراد والحوول دون مقارفة ما من شأنه الإخلال بأمن المجتمع واستقراره، الأمر الذي يحقق للمسلمين الخيرين في المعاش والمعاد.

وعليه فإننا قسمنا هذا البحث إلى مطالب ثلاثة، وعلى النحو التالي:

المطلب الأول: المصادر الدينية للنظام العقابي.

المطلب الثاني: مرجع مبادئ النظام إلى عقيدة شاملة.

المطلب الثالث: الهدف المنشود للنظام العقابي الإسلامي.

## المطلب الأول

### المصادر الدينية للنظام العقابي

إن مصدر القاعدة الشرعية في التشريع الإسلامي بما فيه النظام العقابي هو الشريعة الإسلامية.

والشريعة الإسلامية وهي ما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده من الأحكام التي تصلح أحوال الناس في دنياهم وآخرتهم، سواء في ذلك أحكام العقيدة أو العبادة أو الأخلاق<sup>(١)</sup>، وهي دستور الدولة، وهي مصدر وأساس سائر نظمها وتشريعاتها. وتسمت هذه الشريعة أسسها وأحكامها من مصادر إلهية لا يأتيها الباطل من حولها.

ولم تدع الشريعة الإسلامية شأناً من شؤون الأفراد والجماعات إلا وأنارت إليه السبيل، وأوضحت النهج إليه، وكشفت عما فيه من صلاح وفساد وخير وشر<sup>(٢)</sup>. كما قررت أسمى المبادئ وأعدل النظم في مختلف مجالات المجتمع، بما فيه التجريم والعقاب.

وإذا كان هذا النظام قد استمد مصادره من الدين الإسلامي. فإن هذه الخصيصة تعد من أهم خصائصه؛ لأنه إذا قلنا أنه يستمد أحكامه من الأخلاق، فذلك مرجعه إلى الدين، وإن قلنا أنه يشتمل على أرقى المبادئ الجنائية، فذلك أيضاً لأنه يستمد أحكامه من الدين. علاوة على أن الدين بما له من قدسية وحرمة يكفل للتشريع الإسلامي قوة وفاعلية عند تطبيق أحكامه<sup>(٣)</sup>.

---

(١) انظر: في ذلك كتاب وظائف التبليغ القرآني، الدكتورة إحسان عسكر، دار الاتحاد العربي للطباعة، ط١، سنة ١٩٩٢، ص ١٠١، وانظر: القرآن الكريم بنيته التشريعية وخصائصه الحضارية، أ. د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، بيروت، ط١، سنة ١٩٩٨، ص ٣٨، وكذلك مباحث في إعجاز القرآن، د. أحمد جمال العمري، مكتبة الشباب، مصر، ص ١٢ وما بعدها، وانظر: واقعية المنهج القرآني، توفيق محمد سبع، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ط سنة ١٩٧٣م، ص ٢٥١.

(٢) في بيان مرونة الشريعة ومساريتها لمجريات العصر، انظر: قاعدة العادة محكمة، محمد محمود محمد حسن الجمال، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر، سنة ٢٠٠٢، ص ٢، وما بعدها.

(٣) انظر: المقاصد الشرعية للعقوبات في الإسلام، د. حسني الجندي، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥، ص ٤٢.

وتستمد أحكام التشريع الإسلامي من الدين بأحد طريقين: إما من طريق مباشر، وإما من طريق غير مباشر<sup>(١)</sup>.

#### أ- الطريق المباشر:

يتحقق ذلك بأن يستخلص النص التشريعي من آية أو أكثر من آيات القرآن الكريم، أو من حديث أو أكثر من أحاديث رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

#### ١- القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>:

هو مصدر كل ما يتصل بأمر المسلمين من عقيدة وقواعد أخلاق وتشريع، وهو ما يبين بوضوح مما يلي:

١- بيان أركان الإسلام: فالقرآن الكريم يبين وجوب الصلاة والزكاة في قوله: ﴿وَأَقِمُوا

الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾<sup>(٤)</sup>. وفي صدد وجوب الصيام قول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾<sup>(٥)</sup>،

وبالنسبة للحج: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾<sup>(٦)</sup>.

---

(١) انظر: مبادئ الفقه الإسلامي، أ. د. يوسف قاسم، دار النهضة العربية، ط سنة ١٩٩٧، ص ٣٩. وانظر أيضاً: نظام التجريم والعقاب في الإسلام مقارناً بالقوانين الوضعية، المستشار علي منصور، مؤسسة الزهراء للإيمان والخير، المدينة المنورة، ص ٦٣.

(٢) انظر: النظام العقابي الإسلامي، أبو المعاطي حافظ أبو الفتوح، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الحقوق سنة ١٩٧٦م، ص ٥٢ وما بعدها.

(٣) انظر: في بيان معنى القرآن الكريم، مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، بيروت، ط ١، سنة ١٩٩٦، ج ١، ص ١٢.

(٤) سورة النور، الآية ٥٦.

(٥) سورة البقرة، من الآية ١٨٣.

(٦) سورة البقرة، من الآية ١٩٦.

٢- التحذير من ارتكاب المحرمات، ووسائل الوقاية منها: فحث الناس على العمل لما في ذلك من محامد منها: ألا يجد المرء مجالاً للتفكير في سلب، أو نهب، أو قتل، أو في شئ من أنواع الجرائم التي تغري بها البطالة، أو يدفع إليها التعطل، فيقول عز من قائل: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١) وقوله أيضاً: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢).

٣- الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٣)، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٤)، ويقول كذلك: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (٥).

وبينت آيات القرآن الحكيم أساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك في قوله جل شأنه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٦).

٤- كفالة الحقوق الشخصية والاجتماعية للإنسان بتقرير العدل في أدق صورته، والتواصي بالخير والتناهي عن الشر، وتحقيق التكافل الإنساني، وضمان الحقوق ووصولها إلى أصحابها والتمتع بها، لتطمئن النفوس وتنطفئ ثورة الغضب والانتقام، وهو ما يقرره

(١) سورة الملك، الآية ١٥.

(٢) سورة الجمعة، الآية ١٠.

(٣) انظر: الإمامة والسياسة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩٧، ج ١، ص ١١٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

(٥) سورة آل عمران، من الآية ١١٠.

(٦) سورة النحل، الآية ١٢٥، انظر: في المراد من الآية أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الأمين ابن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط سنة ١٩٩٥، ج ٢، ص ٤٦٥.

الله في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ

﴿(١)﴾.

٥- بيان الحلال والحرام: فالحلال ما حلله الله وسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله. وفي

ذلك يقول جلّت قدرته: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ﴾ ﴿(٢)﴾.

## ٢- السنة النبوية الشريفة:

**تطلق السنة النبوية على أمرين:** الأول أحاديث رسول الله ﷺ وما تضمنته هذه الأحاديث

من أحكام شرعية جعلت من السنة النبوية مصدراً ثانياً مباشراً للتشريع الإسلامي، ومثال ذلك:

الصلاة ، فقد جاءت في القرآن الكريم مجملة في قوله تعالى: "وأقيموا الصلاة"، ثم فسر النبي

ﷺ معناها وأزال الإجمال الذي كان يكتنفها بعد أن بين أوقاتها وعدد ركعاتها ، وكيفية أدائها،

بقوله ﷺ: "صلوا كما رأيتموني أصلي" ﴿(٣)﴾. وكذا الحال في شأن الزكاة والحج.

كما تطلق السنة من ناحية ثانية على تخصيص العام من آيات الكتاب، ومن أمثلة ذلك

قوله ﷺ: ليس لقاتل شيء" ﴿(٤)﴾، و "لا وصية لوارث" ﴿(٥)﴾، فهو تخصيص لنص الآية القرآنية

(١) سورة النساء، من الآية ٥٨.

(٢) سورة المائدة، من الآية ٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، سنة ١٤٢٢هـ، ج١، ص١٢٩، حديث رقم ٦٣١.

(٤) انظر: تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق إشراف صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ط١، سنة ١٤٢٥هـ، ج٢، ص٥٠٤، حديث رقم ١٦٢٠.

(٥) انظر: السنن الكبرى، للبيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الباز، مكة، ط سنة ١٤١٤م، ج٦، ص٨٥، ص٨٥، حديث رقم ١١٢٤٠.

الكريمة: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾<sup>(١)</sup>، فالتخصيص هنا جاء عن طريق السنة<sup>(٢)</sup>.

### بد الطريق غير مباشر:

قد تستخلص مصادر التشريع الإسلامي مما توصل إليه الفقهاء في إطار الكتاب العزيز والسنة المطهرة، وذلك بواسطة الاجتهاد والإجماع<sup>(٣)</sup>، تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾<sup>(٤)</sup>. فوجب العمل بالإجماع الاجتهادي في كل العصور، ولا يكاد يخلو عصر من العصور من وجود مجتهدين يسايرون ما يعترى الحياة البشرية من تطور وتجدد وتغير في الظروف والبيئات، يستدعي مراعاة مصالح العباد.

ومن الأحكام الشرعية التي كان أساسها اعتماد الاجتهاد: ما قضى به أبو بكر الصديق رضي الله عنه من قتال ما نعي الزكاة الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة، حيث قال: "والله لأقاتلن من فرق

---

(١) سورة النساء، من الآية ١١، والمراد بأولادكم في الآية من كانت له على الميت ولادة ذكراً كان أم أنثى وهو ما حققته الآية بعد ذلك، انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٤، ص٢١٦.

(٢) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الظاهري، دار الحديث القاهرة، ط١، سنة ١٤٠٤هـ، ج١، ص٩٣.

(٣) الاجتهاد هو بذل الوسع واستفراغ الجهد في معرفة ما يغلب على ظن المجتهد أنه حكم الله في المسألة المعروضة أمامه، وهو من فروض الكفايات وله شرائط، وقال به قوم ورده آخرون، انظر: في ذلك كتاب تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق د. فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة، الإسكندرية، ط١، سنة ١٤٠٣هـ، ص٢٩ وما بعدها، وانظر: مبحث الاجتهاد والخلاف، محمد ابن عبد الوهاب، مطابع الرياض، ط١، تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن محمد السدحان، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، أما الإجماع فهو في اللغة يحتمل معنيين أحدهما الاجتماع على الشيء والثاني العزم على الأمر والقطع به، أما في الشرع: فهو اتفاق علماء العصر على حكم الحادثة، انظر: اللمع في أصول الفقه أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٩٨٥، ص٨٧، وما بعدها.

(٤) سورة النساء، الآية ٥٩.



بين الصلاة والزكاة"، وقال: "ولو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه . فهو قد استنبط هذا الحكم بإمعان نظره في حديث النبي ﷺ الذي جاء فيه: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه، وحسابه على الله" (١).

وقد عارضه عمر بن الخطاب رضي الله عنه معتمداً على ذات الحديث والذي يقضي بحرمة قتال من نطق بالشهادة، ولكن أبا بكر أمعن النظر في نص الحديث الذي ربط بين الصلاة والزكاة. فالأول شكر الله على نعمة البدن، والثاني شكر له على نعمة المال، وكليهما حق لله سبحانه وتعالى، فاستنبط من قوله ﷺ: "فقد عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها" أن الكف عن القتال متعلق بأمرين: الأول هو النطق بالشهادتين، والثاني هو الإيفاء بحقها، ومن حقها إقامة الصلاة، كما أن من حقها إيتاء الزكاة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ج٤، ص٤٨، حديث رقم ٢٩٤٦.

## المطلب الثاني

### مرجع مبادئ النظام العقابي إلى العقيدة الشاملة<sup>(١)</sup>

فمن خصائص النظام العقابي الإسلامي أن مبادئه مستمدة من العقيدة الإسلامية<sup>(٢)</sup>، وهي عقيدة موجهة إلى الناس جميعاً ، فهي ليست خاصة بأمة معينة، ولا بطائفة معينة من البشر، وإنما هي رسالة موجهة إلى كافة الناس<sup>(٣)</sup>. وهو ما أكده قول الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾<sup>(٤)</sup>.

كما أن الرسالة المحمدية هي آخر رسالات السماء إلى الأرض، لقوله تعالى: ﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾<sup>(٥)</sup>، فهي ليست محدودة بعصر معين، ولا بزمان معين، وإنما هي رسالة السماء إلى الأرض منذ أن بشر بها سيد البشر ﷺ. كما أنها ليست محدودة بمكان دون آخر، وإنما تخاطب الناس جميعاً في سائر بقاع الأرض.

والله سبحانه وتعالى قصد بأحكام الشريعة إقامة المصالح الدنيوية والأخروية معاً، ومادامت كذلك فلا بد أن يكون وضعها على هذا الوجه أدياً وكلياً وعماماً، في جميع أنواع التكاليف والمكلفين وفي جميع الأحوال ، وذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) انظر: النظريات الفقهية، د. محمد الزحيلي، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، ط١، سنة ١٩٩٣م، ص ٢٢

(٢) في بيان المراد بالعقيدة انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، سنة ١٣٩١هـ، ص ٧٤ وما بعدها، وانظر: العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، عبد الحميد بن باديس، تحقيق محمد صالح رمضان، دار الفتح، الشارقة ، ط١، سنة ١٩٩٥، ص ٢٢ وما بعدها، وانظر: العين والأثر في عقائد أهل الأثر، عبد الباقي المواهي الحنبلي تحقيق عصام رواس قلنجي، دار المأمون للتراث، لبنان، ط١، سنة ١٩٨٧، ص ٢٧ وما بعدها.

(٣) انظر: المقاصد الشرعية للعقوبات في الإسلام، مرجع سابق، ص ٤٨.

(٤) سورة الأعراف، من الآية ١٥٨.

(٥) سورة الأحزاب، من الآية ٤٠.

وقد انعكست هذه العقيدة على النظام العقابي الإسلامي وذلك على النحو التالي :-

١- احتواء النظام العقابي الإسلامي على المبادئ الأساسية التي تكفل له الاستمرار :-

فالنظام العقابي عموماً يعمل على معالجة الأوضاع الناشئة عن ارتكاب الجريمة وإعادة التوازن بقدر الإمكان بين العناصر التي مست بها الجريمة ، وتتعلق هذه الأوضاع بعناصر ثلاثة هي : الجاني ، والمجني عليه ، والمحيط الاجتماعي الذي ارتكبت فيه الجريمة.

ويكون مآل هذا النظام الفشل إذا ركز على أحد هذه العناصر دون الباقي ، أو ضحى بعنصر أكثر أهمية في سبيل معالجة عنصر أقل أهمية .

وقد أقام النظام العقابي الإسلامي التوازن بين هذه العناصر جميعاً ، فلم يركز على عنصر دون آخر، وهو ما يظهر في نظام القصاص (١) .

وإذا اضطر إلى التضحية بأحد العناصر ، فإنه يضحى بالعنصر الأقل أهمية في سبيل صيانة العنصر الأكثر أهمية ، وهو ما يظهر لك جلياً في نظام الحدود (٢) .

هذا من ناحية النظام ككل . أما من ناحية العقوبة ، فإنه يشترط أن يتوافر لكل عقوبة ثلاثة شروط وهي: الشرعية، والشخصية ، والمساواة .

٢- النظام العقابي الإسلامي يتسم بالسعة والمرونة بما يتمشى مع الأهداف العامة للعقيدة (٣) :

توجد علاقة وثيقة بين العقوبات في الشريعة الإسلامية والأهداف التي رسمتها هذه الشريعة لحياة الناس؛ وسمو تلك الأهداف واختلافها عن تلك التي رسمها الإنسان لنفسه ولحياته، تفرض بالضرورة وسائل مختلفة لحمايتها ، وهي بذلك تختلف عن نظام العقوبات في النظام القانوني الوضعي.

---

(١) فالشارع راعى في تشريع القصاص الحقان معا وإن كان قد غلب حق العبد لمصلحة وحكمة بالغة.

(٢) انظر، النظام العقابي الإسلامي ، أبو المعاطي حافظ أبو الفتوح ، مرجع سابق ، ص ٦٧.

(٣) انظر : قاعدة العادة محكمة ، محمد محمود محمد حلمي الجمال ، مرجع سابق ، ص ٢ وما بعدها .

والحدود فى الإسلام هى أكثر العقوبات التى ترتبط بالأهداف التى رسمتها الشريعة الإسلامية للإنسان ولحياته : يبين ذلك عند وضع عقوبة الزنى ، فالغرض منها هو المحافظة على كيان الأسرة ، وأداء دورها فى المجتمع وفى حياة الإنسان بالصورة التى رسمها الإسلام. ولذلك حرص الشارع على تنظيم الأمور المتصلة بالحياة الجنسية، ومنها هذه الشهوة المركبة فى الجبلة<sup>(١)</sup>. فىقول جل شأنه ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقدر أيضاً الأضرار الجسيمة المترتبة على ممارسة الزنا والفواحش ، ولذلك نرى الشارع يهتم بمنع هذه الفاحشة ، ووضع العقوبة القاسية حتى لا ينقاد الإنسان وراء هذه الشهوة ، فتحطم حياته الاجتماعية<sup>(٣)</sup>. كما أن الإسلام بين الخطوط العريضة للأسرة المسلمة حيث عبر عن الرابطة بين الزوج وزوجته بلفظ "الخلق" فىقول عز وجل ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾<sup>(٤)</sup>. وفى نطاق الحقوق والواجبات لم يفرق القرآن بين الزوج والزوجة .

### ٣- قوة وفعالية وسائل حراسة النظم الأساسية التى جاء بها . وهذه القوة والفعالية مردها أمران :

**الأول :** ارتباط هذا النظام بعقيدة المسلم ووجدانه الدينى ، والتى تغرس فى نفس الإنسان المسلم مجموعة من القيم تبعث لدى الفرد المسلم الوازع الدينى الذى يعصمه من الوقوع فى

(١) جبل الله الخلق يجعلهم وجبله على الشئ طبعه ، وجبله الشئ طبيعته وأصله ، والجبلة الخلقة ، انظر أساس

البلاغة ، محمود بن عمر الزمخشري ، دار الفكر ، ط سنة ١٩٧٩م ، ص ٨١ .

(٢) سورة آل عمران من الآية ١٤ .

(٣) انظر النظام العقابى الإسلامى ، أبو المعاطى حافظ أبو الفتوح ، ص ٦٨ .

(٤) سورة الروم من الآية ٢١ ، وانظر فى بيان معنى الآية ، تفسير الجلالين للجلال المحلى والجلال السيوطى ، دار الحديث ، القاهرة ، ط ١ ، ص ٥٣٣ .

برائن الجريمة والإثم . وتؤدي إلى تكوين الفرد الصالح الذي يكون في مجموع تصرفاته نزاعاً إلى الخير وعازفاً عن الشر<sup>(١)</sup>.

**الثاني :** الوقاية من الإجرام وسد طرق ارتكاب المعاصي والفواحش وتتحقق هذه الوقاية بوسائل منها : سد المنافذ المؤدية إلى ارتكاب الجريمة : إذ أن هناك عوامل تؤدي بالإنسان إلى ارتكاب الجريمة أو تحفزه على ارتكابها ، أو تسهل له طريق اقترافها .

ولا شك أن الشارع الحكيم يعلم ذلك ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾<sup>(٢)</sup>. فمن أجل إبعاد الإنسان عن طريق الإجرام والشرور ، وإثابته على عدم اقترافها ، أقام منهجه في محاربة الجريمة حتى داخل النفس البشرية .

**وهذا المنهج تجسد ، بإتباع طريقتين :-**

**الطريق الأول :- إبعاد الإنسان عن طريق الجريمة قبل أن يبدأ فيها :-**

فلقد كان للإسلام تأثير على نفوس المسلمين بالقدر الكافي لكف الجريمة والامتناع عنها طاعة لله وخوفاً من صرامة العقاب<sup>(٣)</sup>.

والشارع الحكيم وإن كان قد حرم الزنا ، فإنه وضع في ذات الوقت الوسائل التي تساعد الإنسان على تجنب اقتراف هذه الجريمة ومقاومة العوامل التي تسهل له ذلك .

وهذا يتحقق عن طريق الوعيد بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة لمجرد الشعور بالاتجاه إلى ارتكاب الفاحشة . وهو ما يتجسد بوضوح في قول الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾<sup>(٤)</sup>. ولا شك أن مقاومة هذا الشعور يساعد على الوقاية من الجريمة قبل أن تقع .

(١) انظر نظام التجريم والعقاب في الإسلام ، علي علي منصور ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .

(٢) سورة الملك من الآية ١٤ .

(٣) فكرة الأخوة في المجتمع الإسلامي وأثرها في التخفيف من الجريمة ، د. أحمد الكبيسي ، بحث منشور بمجلة الدفاع الاجتماعي ، العددان ١٩-٢٠ ، سنة ١٩٨٥ ، ص ٥٢٥ وما بعدها .

(٤) سورة النور من الآية ١٩ .

وفى صدد الحؤول بين الإنسان وارتكاب جريمة السرقة ، تجلت حكمة الشارع الآلهي فى علاج الإنسان فى داخل نفسه من ناحية ، وإبعاده عن الطمع فى مال الغير من ناحية أخرى فالله سبحانه وتعالى يعلم أن لدى الإنسان إحساساً طبيعياً بحب المال ، وينهى الإنسان عن الطمع فى مال الغير قال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾<sup>(١)</sup> . ويبين سبحانه وتعالى أن التفضيل فى الرزق مرجعه إليه ، وذلك فى قوله عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِي كُفِّرُوا بِرَّادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾<sup>(٢)</sup> .

والإسلام أيضاً وإن حرم السكر فإنه يحرم الشرب ؛ لأنه مدعاة بطبيعة الحال إلى السكر<sup>(٣)</sup> ، ويحرم كل مسكر ولو كانت بأسماء يسمونها بها لاستحلالها ، طالما كانت العلة قائمة<sup>(٤)</sup> ، كما يحرم كل الأفعال المسهلة للسكر<sup>(٥)</sup> .

#### الطريق الثانى : إثابة الإنسان على عدم اقترافه الجريمة :-

فالإسلام قدس الحياة الإنسانية ، وكفل لها الحماية ووضع عقوبات مغلظة لمن يعتدي على هذه الحياة سواء بهدم بنيان الله كلاً ، أو بالتعرض للإنسان فى بعض أعضائه فقرر القصاص لذلك . ولكن الشارع الحكيم فى الوقت نفسه حث على إحياء النفس ، وجعل فى هذا الإحياء إحياء للناس جميعاً قال تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾<sup>(٦)</sup> . فالله

(١) سورة النساء من الآية ٣٢ .

(٢) سورة النحل من الآية ٧١ .

(٣) فى الحديث " ما أسكر كثيرة فقليله حرام " أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٢٩٦ ، حديث رقم ١٧١٦٧ .

(٤) وفى الحديث " ليشربن أناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها ... " أخرجه البيهقى ، فى شعب الإيمان ، تحقيق محمد السيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١٤١٠ ، ١هـ ، ج ٤ ، ص ٢٨٢ ، حديث رقم ٥١١٤ .

(٥) فى الحديث " لعنت الخمر وشاربها وساقبها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومبتاعها وأكل ثمنها " أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ، تحقيق حمدى بن عبد المجيد السلفى ، مكتبة الزهراء ، الموصل ، ط ٢ ، سنة ١٩٨٣ م ، ج ١٠ ، ص ٩٢ ، حديث رقم ١٠٠٥٧ .

(٦) سورة المائدة الآية ٣٢ ، وانظر فى بيان معنى الإحياء والقتل فى الآية تفسير مجاهد ، مجاهد بن جبر ، تحقيق عبد الرحمن الطاهر محمد ، المنشورات العلمية ، بيروت ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

سبحانه وتعالى يقرر ثواباً جزيلاً على من يترك مقارفة مثل هذه الكبيرة وغيرها من الكبائر ، وهو ما جاء في قوله سبحانه وتعالى ﴿ إِن جَعَلْتُمْ كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكْفَرُ عَنْكُمْ سِغَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ (١).

### ومما تقدم يمكن إيراد النتائج التالية :-

١- أن الإسلام ضرب حول كل جريمة خطيرة سياجاً لكي يمنع المسلم من الاقتراب منها فدعا إلى الأخذ بالحلال وترك الشبهات عملاً بما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال "الحلال بين ، والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهو القلب" (٢).

٢- أن الشريعة الإسلامية وإن أبعدت الإنسان عن طريق الجريمة بأن حاولت القضاء عليها في مهدها وقبل أن تبدأ داخل النفس ، فإنها أيضاً وعدته بالجزاء الحسن على مجرد عدم ارتكابها (٣).

---

(١) سورة النساء من الآية ٣١ ، والكبائر هي : الإشراف بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، وأكل الربا ، وقذف المحصنة ، وأكل مال اليتيم ، واليمين الفاجرة ، والفرار من الزحف ، وقال ابن العباس هي للسبعين أقرب ، انظر تفسير الصنعاني ، تحقيق مصطفى مسلم ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١٠١٤١ ، ج ١ ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، تحقيق محمد زهير بن ناصر ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٠ ، حديث رقم ٥٢ .

(٣) وفي الحديث القدسي "فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فإن هو هم بها وعملها كتبها الله له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف ... ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو هم بها فعلمها كتبها الله له سيئة واحدة " أخرجه البخاري ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، طبعة دار ابن كثير ودار اليمامة ، بيروت ، سنة ١٤٠٧ هـ ، ج ٥ ، ص ٢٣٨٠ ، حديث رقم ٦١٢٦ .

٣- أيضاً فإن الإسلام قد وضع نظاماً موازياً لنظام العقوبات هو نظام التوبة (١). كي يحول بين الإنسان وبين التردّي في هاوية اليأس ، والأمل في الوصول إلى رضا الله سبحانه وتعالى عنه فتسعه مغفرته ورحمته والتطهر من الآثام وذلك يكون بالالتفات عن صغائر الإثم والزلات التي تصدر من الإنسان ، والتي هي من طبيعة التكوين البشري .

وهذه الصغائر إذا كانت تتعلق بحق الله عز وجل فقد عفا عنها في قوله ﴿ إِنَّ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ وقوله ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾ (٢). وإذا كانت الصغائر تتعلق بحق الناس ، وهذه يحض الإسلام على الصفح والعفو عنها كما جاء في قوله تعالى ﴿ وَالْكَبِيرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ (٣). وقوله أيضاً ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ (٤).

---

(١) التوبة هي الرجوع عن الذنب ولها أركان وشروط لأبد من تحقيقها ، وأما قبولها من عدمه فهو أمر موكل إلى الله سبحانه وتعالى وإن كانت هناك أمارات وقرائن يمكن أن يستدل بها على ذلك ، انظر الفوائد ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ابن القيم ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ٢ ، سنة ١٩٧٣م ، ص ١٦ ، وانظر أيضاً كتاب التوايين ، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط سنة ١٤٠٣ هـ ، تحقيق عبد القادر الارناؤوط حيث جاء فيه ذكر لأصناف من التوايين ، وانظر أيضاً التوبة ، على بن حسن بن هبة الله الشافعي ، دائرة الأوقاف والشئون الإسلامية ، دبي ، تحقيق محمد مطيع الحافظ ، ص ٢٣ وما بعدها ، وانظر أيضاً الزواجر عن اقتراف الكبائر ، ابن حجر الهيتمي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، ط ٢ ، ١٩٩٩م ، تم التحقيق والإعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز وتناول التوبة عند حديثه عن شهادة الزور في باب الشهادات ج ٢ ، ص ٨٨٥ .

(٢) سورة النجم من الآية ٣٢ .

(٣) سورة آل عمران من الآية ١٣٤ .

(٤) سورة الفرقان من الآية ٧٢ .



أما إذا زلت قدم المسلم في كبيرة أو فاحشة، فإن الله يفتح له باب التوبة على مصراعيه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

وفتح باب التوبة أمام المذنب قائم مهما كانت فظاعة الجرم الذي ارتكبه، وهذا ما نص عليه القرآن الكريم في قوله عز وجل: ﴿ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢).

ولا يقف الأمر بالنسبة إلى التائب إلى هذا الحد وهو قبول توبته فحسب ، بل إن الأمر يتعدى ذلك إلى محو سيئاته وقلبه حسنات قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ (٣).

والحقيقة أن هذه السياسة التي اتبعها الشارع الحكيم في مكافحة الجريمة قد أثبتت نجاحها ابتداءً، بل وحققت أهدافها في صدر الإسلام، حين كان لها أثرها في خفض معدلات الجريمة، بل إن من نتائج هذه السياسة الرشيدة أن جعلت من يرتكب الجريمة يسعى بمحض إرادته إلى الاعتراف بها طمعاً في أن يطهر قلبه (٤).

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٣٥، انظر في بيان معنى الظلم في الآية، تفسير الصنعاني، مرجع سابق، ج ١، ص ١٣٣.

(٢) سورة الزمر، الآية ٥٣، فهذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها مهما كانت، انظر تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الفكر، بيروت، ج ٤، ص ٥٩٠.

(٣) سورة الفرقان، من الآية ٧٠.

(٤) ومن هذا ما جاء في قصة اعتراف ماعز الأسلمي، والغامدية وإصرارهما على التوبة وإقامة الحد عليهما من أجل التطهر من أدران المعصية واستبدالاً للذي هو خير وهو رضوان الله وثوابه والمقام في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر بالذي هو أدنى وهي الحياة الدنيا.

## المطلب الثالث

### الهدف المنشود للنظام العقابي الإسلامي

يهدف النظام العقابي الإسلامي إلى الحؤول دون ارتكاب المعاصي ووقوع الجرائم من ناحية، وتحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع من ناحية أخرى.

والدليل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم من آيات وما تضمنته السنة النبوية المطهرة من أحاديث.

#### أولاً: آيات القرآن الكريم:

وردت في الآيات القرآنية كلمة "الأمن" صراحة، كهدف تعمل أحكام الشريعة الإسلامية على تحقيقه. وهذا ما استدل عليه في قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (١).

ويتبين من هذه الآية أن تحقيق الأمن والاستقرار في الجماعة المسلمة مرهون بأمرين هما: الإيمان وهو ما تحققه عقيدة تتصل بوجودان المسلم، وعدم الظلم، وفي عبارة أخرى ألا يختلط إيمانه بظلم.

وإذا كان معنى الظلم في الآية السابقة ينصرف إلى الشرك، فإن ذلك يعني أن وجود العقيدة هو أحد عناصر تحقيق الأمن في المجتمع المسلم. ويؤدي ذلك أيضاً إلى تحقيق الاستقرار المنشود.

والإنسان وهو ينشد الأمن والاستقرار، تكون وسيلته هي التشريع، والتشريع القادر على تحقيق هذا الهدف هو التشريع الرباني، ولا يستطيع أن ينعم الإنسان بالأمن والاستقرار إلا في ظل تشريع رباني (٢).

(١) سورة الأنعام، الآية ٨٢، والمراد بالظلم في هذه الآية الشرك.

(٢) انظر وظائف التبليغ القرآني، الدكتورة/ إحسان عسكر، مرجع سابق، ص ١٥١.

ولا تصلح الحياة الإنسانية إلا بنظام يطبق هذا التشريع؛ لأن الإنسان لو ترك وغرائزه لطغى على حقوق الآخرين، وساد بين أفراد المجتمع عوامل الفرقة وتحكم بين أفرادها قانون الغاب<sup>(١)</sup>. أما التشريع الرباني فيهدف إلى إقامة العدل وحفظ التوازن في الحقوق والواجبات وصيانة حقوق الناس، الفردية ومصالح المجتمع، وبذلك يكون الأمن ويتحقق الاستقرار.

ويتضمن التشريع الجنائي الإسلامي أحكاماً لا يتصور تطبيقها دون وجود حكم ودولة تأخذ بأحكامه؛ وبتنفيذ هذه الأحكام تصل الحقوق إلى أصحابها، فيقوم العدل، ويكون الاستقرار في المجتمع.

ومن ذلك على سبيل المثال وجوب تنفيذ عقوبات القصاص والحدود، كقتل القاتل وجلد الزاني غير المحصن، وكذا رجم المحصن.

#### ثانياً: السنة النبوية الشريفة:

وهي المصدر الثاني للتشريع الجنائي الإسلامي، والتي يكون لها دورها في إرساء معالم الاستقرار في المجتمع؛ لأن طاعة ما أمرنا به رسول الله ﷺ واجبة، وهذا ما أخبرنا به الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد استرعى انتباه الكثيرين من العلماء الاضطراب ، والفوضى ، والفرع ، والخوف على الأنفس والأعراض ، والأموال في كثير من البلدان في هذا الزمان، وما كانت عليه الأمة من أمن واستقرار قروناً طويلة وتبين لهم أن العمل بشرع الله لا يحقق الأمن والاستقرار للمسلمين وحسب، وإنما يحقق ذلك لكل من يعيش في دولة الإسلام<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر القرآن شريعة المجتمع، د. عارف خليل أبو عيد، بحث منشور في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، السنة الأولى، العدد الثاني، محرم ١٤٠٥، ص ١٩.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٣) انظر: الأمن والاستقرار في ظل الشريعة الإسلامية، د. محمد عبد السلام أبو النيل، بحث منشور في مجلة الشريعة والقانون، كلية الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العدد الخامس، مايو ١٩٩١، ص ٥٥.

## الخاتمة:

بعد أن من الله علينا بإتمام هذا البحث، فإننا نورد في خاتمته أهم ما توصلنا إليه من

نتائج . وذلك فيما يلي

- يعتبر الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي سلم من التحريف والتبديل ، وهو دين كامل يحتوى على قسمين هما العقيدة والشريعة، والقسم الأخير منه كامل يحتوي على الأنظمة اللازمة لتنظيم الحياة في كافة نواحيها، ومن هذه الأنظمة النظام العقابي فقد بين الشارع الحكيم فيه كل ما يلزم لضبط السلوك البشري، وتوجيهه التوجيه الأمثل والحوول دون الافتئات على تعاليم الدين من خلال تقريره للعقوبات الرادعة سواء ما كان منها داخلاً في نطاق الحدود ، أو القصاص ، أو التعازير ، والتي تعد باباً واسعاً للإحاطة بما يستجد من حوادث ، مما يؤكد مرونة الشريعة ومواكبتها للتطور وعدم جمودها وقصورها.
- إن من خصائص النظام العقابي الإسلامي أن مبادئه مستمدة من العقيدة الإسلامية، وهي عقيدة موجهة إلى الناس جميعاً ، فهي ليست خاصة بأمة معينة، ولا بطائفة معينة من البشر، وإنما هي رسالة موجهة إلى كافة الناس، وهذا أمر من شأنه تحقيق المساواة بين كل الأفراد.
- أقام النظام العقابي الإسلامي التوازن بين جميع العناصر التي مست بها الجريمة، فلم يركز على عنصر دون آخر، وإذا اضطر إلى التضحية بأحد العناصر، فإنه يضحى بالعنصر الأقل أهمية في سبيل صيانة العنصر الأكثر أهمية.
- الشريعة الإسلامية وضعت نظاماً موازياً لنظام العقوبات هو نظام التوبة؛ كي يحول بين الإنسان وبين الترددي في هاوية اليأس ، والأمل في الوصول إلى رضا الله سبحانه وتعالى عنه فتسعه مغفرته ورحمته والتطهر من الآثام؛ وذلك يكون بالالتفات عن صغائر الإثم والزلات التي تصدر من الإنسان ، والتي هي من طبيعة التكوين البشري .

## ثبت المصادر والمراجع:

- الإحكام فى أصول الأحكام، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، دار الحديث ، القاهرة ، ط١، سنة ١٤٠٤هـ.
- أساس البلاغة ، محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري ، دار الفكر ، ط سنة ١٩٧٩ م .
- الإسلام عقيدة وشريعة ، الشيخ محمود شلتوت ، دار القلم القاهرة ، ط٣ ، سنة ١٩٦٦م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط سنة ١٩٩٥.
- الإمامة والسياسة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط سنة ١٩٧٧م.
- الأمن والاستقرار في ظل الشريعة الإسلامية، د. محمد عبد السلام أبو الليل، بحث منشور في مجلة الشريعة والقانون، كلية الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العدد الخامس، مايو ١٩٩١م.
- تفسير ابن أبي حاتم ، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.
- تفسير الجلالين: الجلال المحلي والجلال السيوطي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط١ ، بدون تاريخ نشر.
- تفسير الصنعاني ، عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق د. مصطفى مسلم محمد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ، سنة ١٤١٠هـ.
- تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء ، دار الفكر ، بيروت ، واعتمدنا أيضاً على طبعة دار الأندلس.

- تفسير مجاهد ، مجاهد بن جبر المجزومي التابعي أبو الحجاج ، تحقيق عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي ، المنشورات العلمية ، بيروت.
- تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد، د. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق د. فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة، الإسكندرية، ط ١، سنة ١٤٠٣هـ.
- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق إشراف صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ط ١، سنة ١٤٢٥هـ.
- التوابين ، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، تحقيق عبد القادر الارناؤوط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط سنة ١٤٠٣ هـ .
- التوبة ، علي بن حسن بن هبة الله الشافعي، تحقيق محمد مطيع الحافظ ، دائرة الأوقاف والشئون الإسلامية ، دبي .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الزواجر عن اقتراف الكبائر ، ابن حجر الهيتمي ، تم التحقيق والإعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، ط ٢ ، ١٩٩٩م.
- السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الباز، مكة طبعة سنة ١٤١٤هـ.
- السياسة الجنائية في التشريع الإسلامي، د. مصطفى محمد حسنين، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط سنة ١٩٨٤م.
- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤، سنة ١٣٩١هـ.
- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، سنة ١٤١٠هـ.

- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق محمد زهير بن ناصر  
طبعة دار طوق النجاة ، ط ١، سنة ١٤٢٢هـ.
- قاعدة العادة محكمة، محمد محمود محمد حسن الجمال، رسالة ماجستير، كلية  
الشريعة والقانون، جامعة الأزهر، سنة ٢٠٠٢، ص ٢، وما بعدها.
- العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، عبد الحميد بن باديس،  
تحقيق محمد صالح رمضان، دار الفتح، الشارقة ، ط ١، سنة ١٩٩٥م.
- العين والأثر في عقائد أهل الأثر، عبد الباقي المواهي الحنبلي، تحقيق عصام  
رواس قلعجي،، دار المأمون للتراث، لبنان، ط ١، سنة ١٩٨٧.
- فكرة الأخوة في المجتمع الإسلامي وأثرها في التخفيف من الجريمة ، د.أحمد  
الكبيسي ، بحث منشور بمجلة الدفاع الاجتماعي ، العددان ١٩-٢٠ ، سنة  
١٩٨٥م.
- الفوائد ، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،  
ط ٢ ، سنة ١٩٧٣م .
- القرآن شريعة المجتمع، د. عارف خليل أبو عيد، بحث منشور بمجلة الشريعة  
والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، السنة الأولى، العدد الثاني،  
محرم ١٤٠٥هـ.
- القرآن الكريم بنيته التشريعية وخصائصه الحضارية، أ. د. وهبة الزحيلي، دار  
الفكر، بيروت، ط ١، سنة ١٩٩٨م.
- اللمع في أصول الفقه، أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، دار الكتب  
العلمية، بيروت، ط ١، سنة ١٩٨٥م.
- مباحث في إعجاز القرآن، د. أحمد جمال العمري، مكتبة الشباب، مصر.
- مبادئ الفقه الإسلامي، أ. د. يوسف قاسم، دار النهضة العربية، ط سنة ١٩٩٧.
- مبحث الاجتهاد والخلاف، محمد بن عبد الوهاب، تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن  
محمد السدحان، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، مطابع الرياض، ط ١.

- المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ، طبعة مكتبة الزهراء ، الموصل ، ط ٢ ، سنة ١٩٨٣م.
- المقاصد الشرعية للعقوبات في الإسلام، د. حسني الجندي، دار النهضة العربية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٥.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، بيروت، ط ١، سنة ١٩٩٦.
- نظام التجريم والعقاب في الإسلام مقارناً بالقوانين الوضعية، علي علي منصور، مؤسسة الزهراء للإيمان والخير ، المدينة المنورة، ط ١، سنة ١٩٧٦م.
- النظام العقابي الإسلامي دراسة مقارنة ، أبو المعاطي حافظ أبو الفتوح ، رسالة دكتوراه ، كلية الحقوق ، جامعة القاهرة ، ط سنة ١٩٧٦م.
- النظريات الفقهية ، د. محمد الزحيلي ، دار القلم ، دمشق سوريا ، الدار الشامية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، سنة ١٩٩٣م .
- واقعية المنهج القرآني ، توفيق محمد سبع ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ط سنة ١٩٧٣م.
- وظائف التبليغ القرآني، الدكتورة إحسان عسكر، دار الاتحاد العربي للطباعة، ط ١، سنة ١٩٩٢م.



## ملخص البحث:

النظام العقابي في الإسلام يرتكز على أسس لكي يستطيع أن يضطلع بالمهام المراد منه أداؤها، وهذه الأسس منها ما هو عام ومنها ما هو خاص، ولقد حاولنا في هذا البحث المتواضع تسليط الضوء على الأسس العامة ، وتتمثل هذه الأسس في المصادر الدينية للنظام العقابي في الإسلام، ومرجع مبادئه إلى العقيدة الشاملة، بالإضافة إلى الهدف المنشود له. ومما لا يخفى على أحد أن هذا الموضوع هو من الأهمية بمكان، ذلك أن نظام الحدود يهدف إلى ضبط سلوك الأفراد والحوول دون مقارفة ما من شأنه الإخلال بأمن المجتمع واستقراره، الأمر الذي يحقق للمسلمين الخيرين في المعاش والمعاد.